

## مغربية صحراوية تتحدى من أجل حياة سياسية متطورة

حسنة أبوزيد لـ «العرب»:

قادتنا أدخلونا حكومة العثماني من الباب الصغير



أبوزيد تعرف ما هو متوقع منها سياسيا ودبلوماسيا، فهي ليست طارئة على المشهد السياسي المغربي باعتبارها سليلة آل بيروك، إحدى أكبر عائلات الصحراء وأكثرها عراقة.



العاهل المغربي يشدد دوماً على ضرورة أن تقوم الأحزاب بتطعيم الحكومة بوزراء ذوي كفاءة يردون التجربة السياسية المغربية، وهذا ما لا ترغب به بعض القيادات التي تكرس الشعبوية والإنانية.



محمد ماموني العلوي  
صحافي مغربي

لا تفارق لحافها الصحراوي بألوانه المختلفة حسب المناسبة والظرفية، باعتباره رمزا لهويتها وتحته تخفي شخصيتها القوية، يسارية حتى النخاع وصحراوية حد التعصب غير الأعمى، بسمتها لا تفارق الحيا حتى وإن هاتفتها عبر كيلومترات تحس بذلك النبرة من التعاطف والصرامة ونموذج السياسي المثقف، وما أحوج العرب اليوم إلى سياسيين جادين.

قبل عن المسار السياسي لحسنة أبوزيد الكثير لكنها تؤكد أنها لا زالت في الطريق ممارسة ومتعلمة، نداء وتواضع هذه السيدة التي جانب فصاحتها، خصل أهلكنا لتكون من الأسماء الوازنة داخل حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وتحظى بمكانة خاصة لدى جميع الاتحاديات والإتحاديين، ما جعل المتعاطفين والمجيبين بسيرتها يرحسونها لتكون سيدة حزب الاتحاد الاشتراكي، ولم لا إذا كانت تحمل صفات السياسي الزهية والكفاءة والشجاعة، هكذا قالوا، لكن المجال يحتاج أكثر من هذا خلاصا بكثير.

لا يمكن أن يحصروا مساهمتهم فقط في ترقي القرارات ورصد المستجدات، وأحيانا تكيف الفهم والتحليل. فإلى جانب إقرارها بأن المجهود التنموي الوطني في الصحراء يجب أن يواكبه تطير على المستوى السياسي، فمن غير المقبول عند هذه السيدة، أن يتمتع الفاعل السياسي والإعلامي والأكاديمي خصوصا بالنسبة لجيل ما بعد المسيرة الخضراء عن خدمة قضيتيه ويخضع أداءه لألية ضبط مفرطة أنتجت ظروف سياسية ولى زمنها وانتهى.

ليس من السهل تفادي الاختلاف لكن عندما تجد أن أغلبية القيادات الاتحادية خارج هذا التنظيم السياسي، فهذا الوضع يتطلب أكثر من مصالحة داخلية شاملة تعيد اللحمة ووحدة الصف للحزب أطلقتها القيادة الحالية، ورغم موقفها من هذه القيادة الحالية فقد أسرت أبوزيد للصحيفة، أنه بغض النظر عن محاولة المصطلح وهل يعبر فعلا عن طبيعة الأزمنة التي يعيشها الحزب، فهي مبادرة جيدة ومحمودة، ويجب على لشكر أن يفكر مليا في توفير الشروط الضرورية لإنجاح مبادرته ولعل أهمها المصادقية والالتزام.

لقد وجد محتكرو القرار الفعليون داخل القيادة الاتحادية أنفسهم في مازق متشابكة رهن حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ليس فقط إلى غير خطة السياسي بل حشرته في فوضى قيمة وسياسية وأخلاقية، هكذا تقيم حسنة الوضع الداخلي، "فوضى تعبر عنها ضبابية رؤيته اليوم وحجم التردد بل والتوجس والذبول الذي يطبع مواقف حزبا"، والاستنتاج هو أن القيادة الحالية لم توفق في امتحان المشروعية.

وبعد أيام من حسم خريطة الحكومة المعدلة، وبعد انصرام قرابة أكثر من منتصف الولاية، ترى أبوزيد أن منهجية تدبير قيادة الاتحاد الاشتراكي للحلقات وصممت صورة مشاركة الحزب في الحكومة، وتضيف "مشاركتنا باهتة ودون أدنى أثر سياسي"، معتبرة أن محتكرو القرار القيادة الاتحادية أدخلوا الحزب إلى حكومة العثماني من الباب الصغير، فقد "حُشرنا في اصطفايات لا تليق بمكانتنا الرمزية ولا تخدم طموحاتنا في إعادة الاعتبار للعمل الحزبي والسياسي".

من قال إن بلوغ الذروة يحتاج إلى السنوات الطوال في العمل السياسي، فالوصفة الناجحة تتطلب الجرأة والبلاغة في التواصل والإمام بالقضايا والانتماء الحقيقي للبيئة الحاضنة. كل هذا كان متوفرا سنة 2005 عندما بادرت أبوزيد بنيل عضوية المجلس الوطني لمنظمة النساء الاتحاديات، لتتمرس أكثر على العمل التنظيمي، وتصبح بعد خمس سنوات نائبة الكاتبة الوطنية لتنظيم النساء الاتحاديات، وكانت هذه فرصة لتتسج لنفسها تشكيلة من العلاقات لتيسر مهمتها داخل وخارج الاتحاد الاشتراكي وتضحي وجهها نسائيا بارزا.

كما صنع ثقافة اجترارها بالنجاهل الجماعي واللامسؤولية وثقافة التطبيع مع التضحية بأجيال من النخب كمنطق مكلف لدوران النخب وأشاع قيما دخيلة على العمل الرفاعي والعقيدة المجمع، والحل هو الديمقراطية الداخلية لإنتاج ما يمكن تسميته بدمقرطة المناصب حسب الكفاءة.

## الحكومة ومحتكرو القرار

من قال إن بلوغ الذروة يحتاج إلى السنوات الطوال في العمل السياسي، فالوصفة الناجحة تتطلب الجرأة والبلاغة في التواصل والإمام بالقضايا والانتماء الحقيقي للبيئة الحاضنة. كل هذا كان متوفرا سنة 2005 عندما بادرت أبوزيد بنيل عضوية المجلس الوطني لمنظمة النساء الاتحاديات، لتتمرس أكثر على العمل التنظيمي، وتصبح بعد خمس سنوات نائبة الكاتبة الوطنية لتنظيم النساء الاتحاديات، وكانت هذه فرصة لتتسج لنفسها تشكيلة من العلاقات لتيسر مهمتها داخل وخارج الاتحاد الاشتراكي وتضحي وجهها نسائيا بارزا.

من خلال اللائحة الوطنية لنساء الحزب، أصبحت أبوزيد نائبة في البرلمان، فكانت النائبة الرابعة لرئيس لجنة القطاعات الاجتماعية، والنائبة الثالثة لرئيس لجنة مراقبة المالية العامة. كما شغلت عضوية لجنة المساواة وتكافؤ الفرص بمجلس النواب، إضافة إلى عملها مستشارة بمتكبر شبكة برلمانية ضد عقوبة الإعدام. هذه المسيرة جعلت من أبوزيد نموذجا حزبيا نسائيا نخويا جديرا بالاهتمام.

## حل ملف الصحراء المغربية

يبدو أن أبوزيد تعرف ما هو متوقع منها سياسيا ودبلوماسيا فهي ليست طارئة على المشهد السياسي المغربي باعتبارها سليلة آل بيروك، إحدى أكبر عائلات الصحراء وأكثرها عراقة، وهي من أولى الأسر الصحراوية التي انفتحت على عالم المعمار وممارسة التجارة والفاحة والتصدير البحري في بيئة صحراوية عرفت بثرة الترحال. ولا يمكن الحديث عن هذه المرأة الصحراوية دون التعرّيج على سيرة جدتها القايد دحمان بن بيروك الذي بعد أحد مؤسسي الحركة الوطنية بالجنوب المغربي ومؤسس أول فرع لحزب الاستقلال بالصحراء نهاية الأربعينات وجيش التحرير في كلميم، الذي عارض سياسته وتجاوزاته ضد الصحراويين بعد ذلك في الجنوب، وقبلها اعتقلته السلطات الاستعمارية وعزله وهو قائد منطقة وادنون بعد رفضه التوقيع على عزل السلطان محمد الخامس. ومن منطلقات الخلفية العائلية والقرب التاريخي والعائلي والسياسي من حيثيات ملف الصحراء تعتبر حسنة أبوزيد أن هذه القضية يجب أن تُعالج في إطار سياسة عمومية بشكل فيها الجانب الدبلوماسي جزءا فقط وليس كلا، وتؤمن أن الفاعل السياسي والمثقف والجامعي وغيرهم

لم ترغب فيه بعض القيادات التي تكرس الشعبوية والإنانية، هناك من طرح اسم أبوزيد ككفاءة تستحق حمل المسؤولية داخل الحكومة، باعتبارها "قيمة وطنية" و"إضافة نوعية تخدم قضية الوطن في الصحراء".

وتعليقها على هذا الاقتراح لم تجعله هذه السيدة فرض عين على القيادة والقاعدة لكن يُفترض ألا تشكل مسألة قيادة نسائية للاتحاد الاشتراكي مطلباً عزيزاً بل أن يفرزها تطارح المشاريع الحزبية والتباري المتكافئ للكفاءات الحزبية التي تحظى باحترام وثقة المغاربة جميعا.

التراجع السياسي الانتخابي والشعبي وخصوصا القيمي الذي عاشه الاتحاد الاشتراكي يتجاوز في تفسيره تأثير ما دابت أدبائنا على ربطه بالسلطوية وتعثر الانتقال الديمقراطي بما هي جزء مؤثر في التحليل، ليعزى واقعا مرا، صحيح لكنه ليس مستحيل التغيير، والمتعلق بالبيئة الداخلية ومدى تمثلها لقيم الديمقراطية، والتحديث، والقدرة على بعث حزب الحق والقانون وقيم التدبير الديمقراطي، كمساهمة مسؤولة لإنتاج نخب الديمقراطية لبناء دولة ومجتمع ديمقراطيين، بإيجاز بلورة نموذج سياسي جديد للحزب.

ولـ "أبوزيد" رأي في هذا النموذج باعتباره منتج الكثير من الصراعات في الممارسة السياسية الاتحادية

عندما تسالها عن ملامسات اقتراحها من طرف رئيس الحكومة سعد الدين العثماني، وزيرة للصحة باسم الاتحاد الاشتراكي أثناء المشاورات مع إدريس لشكر، في فريقه الحكومي الذي يتم الإعداد له، لا تنفي أبوزيد ولا تؤكد، عكس المصادر القريبة من مطبخ الاتحاديين التي أكدت رفض لشكر بشدة هذا المقترح معتبرا أن الأمر هو شأن الاتحاديين والأتاحديون هم من يقررون في هذه المرحلة.

يرجح المتابعون أن نظافة اليد وليكونها مقبولة من طرف النخبة الاتحادية وكل القوى السياسية، وهو ما جعل الإحساس السياسي عند أبوزيد جيدا، وهو الذي أصبح إنشاعا منذرا بالانحدار السياسي لخصومها، وسببا كافيا كي تتكوي بنار المنافسة من عدة أوجه وبطرق قد تكون غير نظيفة.

لا تريد أبوزيد التخلي عن مكان أساسي من مكونات شخصيتها، إلا وهو التحدي وانتظار الفرص دون انتهائية فجة وتنتقد الوضع بجرأة معهودة وهذا ما خلق الفجوة بينها وبين قيادة الحزب اليساري، وما هي تفسير لـ "العرب"، الأمر بتأسيس أعراف حزبية تؤول كل انتقاد بأنه يمس بتماسك الصف كجانب من موروثات المرحلة السرية للحزب في الأيام الصعبة.

غالبا ما يكون المتنافسون في مجال السياسة أكثر استعمالا لوسائل الإبادة الأكثر فتكا لتحطيم كل الآخرين، لذلك استغل خصومها داخل وخارج الحزب موقع زوجها الذي يشتغل محافظا بإقليم مديونة، لإفراغ محتوى دفاعها عن الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية والممارسة السياسية السلمية، لكنها ترد بانها لا تعارض في هذا الوضع، وبن الثقة التي وضعتها الدولة في شريك حياتها العائلية والحزبية، هي نموذج يجب اتباعه، فالاتحاد هدفه كان دائما إصلاح الإدارة والمساهمة في تجديدها.

## النخبة وخدماتها

كثير الحديث عن النخب والحاجة إلى خدماتها في الأونة الأخيرة خصوصا من داخل الأحزاب لملاء فراغ في الحكومة والإدارات والمؤسسات، هذا الشبح البشري، له من الأسباب الكثير نظرا للطبيعة غير التاملية والمشتتة لجل ما يحتويه الوسط السياسي الفردي الذي سيمحو كل المنافسين السابقين والقادمين إلى الأبد، لكن أبوزيد تؤكد لـ "العرب"، أنها لا تميل إلى شخصنة الصراعات السياسية، وتعتقد أن الأمر يتعلق بالنخبة من التغيير ومن المستقبل ومع الأسف التاريخ القريب يرجح كفة هذا التقدير، وبالنسبة للتغيير والتأنيث والتشبيب فهي مفاهيم قديمة ولن يستقيم أبدا أن تسجن فكرة قديمة في أثواب الركود بالتمام على المستقبل.



ترى هذه المرأة القريبة من ملف الصحراء، أن تركيز الفاعلين السياسيين يجب أن ينصب على تقوية البناء الديمقراطي لأن المشروعية الديمقراطية هي الضامن الأساس للوحدة، طرحها هو أن قضية الصحراء يجب أن تستفيد من ثراء التجربة السياسية المغربية ومن عطائها كذلك، ولا يمكن أن تدرج في الشق الدبلوماسي بل يجب أن تبنى سياسة عمومية تمنع الداخل وتقوي الجبهة الوطنية بطريقة تقطع مع المفاهيم القديمة.

عندما تنتهي الحجج تبدأ السفسة لهذا أراد الكثير من خصوم أبوزيد الدخول من زاوية ملف الصحراء للتشويش على صورتها، لهذا تقترح على الجميع المساهمة في بناء بيئة الحل وتقوية الثقة بين الأطراف كطريق للوصول إلى الحل النافع والدائم، وبشكل أكثر جرأة تقول إن حماية مكون البوليساريو وضمان استقلاليتها مدخل مهم وأساسي لأنها - جبهة البوليساريو - في صيغتها المستقلة والعقلانية يمكن أن تساهم بشكل بناء في مناقشة المقترح المغربي المتعلق بتمتع المناطق الصحراوية بحكم ذاتي، شرط توفير ضمانات الثقة.

عند القيام بتصميم النموذج الملائم للمرحلة والقضايا المطروحة، لا بد من الاعتماد عبر حدود الممكن والمتاح نحو تصورات مبتكرة لمخارج الحلول، وفي قضية الصحراء المغربية بشكل خاص لا بد من الاعتماد على كفاءات المنطقة لاستجلاء الحدود الممكنة التي قد يمنحها الواقع المحلي والدولي، وهنا نقول إن حسنة أبوزيد استندت، في ممارستها للدبلوماسية الموازية كبرلمانية وقيادية يسارية، على مكانة عائلتها التي دافعت عن حدود الدولة المغربية وسيادتها عندما تناهضت الاحتلال الإسباني.